

إتيقا الإعلام في الممارسة الديمقراطية "تشومسكي" أمودجا

The media in democratic practice 'Chomsky' is a model

بوغمبوز محمد^{1*} لعموري شهيدة²

جامعة قاصدي مرباح و رقلة ، الجزائر (mohamadbzm16@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 2021/09/02 ؛ تاريخ القبول : 2021/11/29 ؛ تاريخ النشر : 2021 /12/ 20

Abstract

المخلص

There is no doubt that our identity and the methods of our vision of reality are conditional on our cultural reference that affects our view of ourselves, and how we deal with others and our interaction with the world, and on that the media affects us a great impact that includes our thinking and our actions because it is not just an economic and technological process, but also means increasing the interaction between peoples And the interconnection between cultures and then moved from the circle of reporting to the circle of effective biological use in relation to contemporary political life affairs, which is what was embodied in the concept of 'probanda What America adopted to serve its interests with the aim of achieving its imperialist ambitions. This made the American philosopher Naoum Chomsky criticizes the media discourse through which he is played with the future On social life within the technical space of man

Keywords Equity, media, democracy, propaganda, imperialism.

لاشك أن هويتنا و طرائق رؤيتنا للواقع مشروطة بمرجعيتنا الثقافية التي تؤثر على نظرتنا لأنفسنا، وكيفية تعاطينا مع الآخرين وتفاعلنا مع العالم، و على ذلك تؤثر علينا وسائل الإعلام تأثيرا كبيرا يشمل تفكيرنا وتصرفاتنا لأنه ليس مجرد عملية إقتصادية و تكنولوجية بل يعني كذلك زيادة التفاعل بين الشعوب و الترابط بين الثقافات ومن ثم إنتقل من دائرة التبليغ إلى دائرة الإستخدام الحيوي الفعال فيما يتعلق بشؤون الحياة السياسية المعاصرة و هو ما تجسد في مفهوم "البرويغندا" الذي تبنته أمريكا لخدمة مصالحها بهدف تحقيق طموحاتها الإمبريالية هذا ماجعل الفيلسوف الأمريكي نعوم تشومسكي ينتقد الخطاب الإعلامي الذي من خلاله يتم اللعب بمستقبل البشر ضمن التقنية بالتأكيد أكثر مما كان عليه في قرن التنوير محاولا التأسيس لإتيقا الإعلام الديمقراطي ذلك أن التطبيقات الإتيقية في مجال الإعلام كان لها الأثر البالغ على الحياة الإجتماعية داخل الفضاء التقني للإنسان

الكلمات المفتاحية: الإتيقا، الإعلام، الديمقراطية ، البرويغندا، الإمبريالية

* الباحث المرسل:

مقدمة:

لقد تعاضم مفهوم الأزمة و الكارثة اليوم في حدود القرية الإلكترونية التي نعيشها فأى كيان لم يعد بمنأى عن تأثيرات الأحداث داخل هذا العالم ,ولعل من أبرز الكيانات الأكثر نفعا و ضرارا في الآن نفسه هو المجال السياسي وخصوصا في شقه المتعلق بالممارسة الديمقراطية ،هذا مادفع بالفيلسوف الأمريكي وعالم اللسانيات إلى الغوض في سلبيات الدعاية الإعلامية على الديمقراطية العالمية ،وباعتبار أنه أمريكي فقد سلط الضوء على بلده خصوصا ومن ثم حق لنا أن نتساءل: ما الإتيقا ؟ ما الإعلام ؟ ما الديمقراطية ؟ ما البروبغندا ؟ وما السبيل لتحقيق إتيقا إعلامية ديمقراطية ؟

أولا / ضبط المفاهيم:

1- مفهوم الإتيقا:

***لغة:** في حقيقة الأمر إن الأصل اليوناني للفظة إتيقا أصل مضاعف إثوس ذلك أنها تتكون من كلمتان متماثلتان في النطق لهما دلالتين مختلفتين الأولى تدل على الأعراف بينما الأخرى تشير إلى الإلهام و النفس إلا أن هاتين الدالتين لا يمكن الفصل بينهما ذلك أن الأولى تعبر عن العادات الجماعية بينما الأخرى تعبر عن فضيلة الفرد (العزيرالعيادي، 2004، صفحة 28) ويبين لنا هيدغر التقاطح الموجود بينهما من خلال ما عبر عنه في الحضارة اليونانية بمفهوم الإنهام بالذات والإعتناء بها lesouci .

***إصطلاحا:** يعرفها الجابري بقوله" أما في اللغة الأوروبية فكلمة الأخلاق يقابلها لفظان الأول يوناني وهو الأصل إيتيك من إيتوس والثاني روماني الأصل هو مورال من مورس و اللفظان بمعنى واحد العادات الأخلاقية و إلى النصف الثاني من هذا القرن كانت كلمة مورال هي السائدة والغالبة في كتابات الفلاسفة أما في الفترة الراهنة فقد تراجع وتزحزحت هذه الكلمة لتحل محلها إتيك ومن ثم أصبح المفكرين و الفلاسفة يعبرون عن كلمة أخلاق بمعنى مورال و أخلاقيات معنى إتيك" (الجابري، 2012، صفحة 64) ومن ثم فالأول يرتبط بالفرد أما الثاني فيرتبط بالقيم الإجتماعية

ويعرفها هايرماس بقوله "هي بحث في التأصيل الفلسفي و إستكشاف لعلوم الإنسان المتعلقة بالقيم السلوكية...لذا فالإتيقا تبدو و كأن مجال إنهمامها هو الجهد النظري المبذول لبلورة المبادئ التي تنظم علاقتنا بالآخرين " (هايرماس، 2010، صفحة 7) ومن ثم فالإنسان كائن إتيقي تواصل، وعموما فإن موضوع الإتيقا تتداخل فيه وتتعاون مجموعة من الفروع المختلفة كالفانوني والإقتصادي و الفيلسوف و الفقيه و الطبيب و البيولوجي .

/الإعلام:

يتسع مفهوم الإعلام ليشمل العديد من الوسائل و الادوات التي تستهدف الجمهور لتوصيل معلومات محددة إلى أشخاص مستهدفين وذلك عن طريق الصحافة ، الإذاعة ، التلفزيون ، الفضاء الرمزي ، الإفتراضي .

* لغة : من المصدر أعلمه ،إعلما ،مثل أبلغه إبلاغا ،أو أخبره إخبارا في لسان العرب أعلمت بمعنى أذنب والتبليغ و الإبلاغ بمعنى الإيصال ،وبلغت القوم إبلاغا أي أوصلتهم ما هو مطلوب إيصاله و البلاغ ماوصل الفرد و بلغه (منظور، دت، صفحة 416) وبذلك فهو يعني الربط بين المتكلم و المخاطب.

*إصطلاحا: يعرفه ريد فيلد "بأنه المجال الواسع لتبادل الوقائع و الآراء بين البشر "بينما يعرفه ريفيز "بأنه يشمل كافة طرق التعبير التي تصلح للتفاهم المتبادل "

و يعرفه الألماني أتجورت بقوله "هو التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير و إتجاهاتها في

نفس الوقت (خلدون، 2016، صفحة 21)

تعرفه اليونيسكو بأنه " الإدارة السياسية و القوة الإقتصادية و المورد التربوي الكامل و المحرك الثقافي و الإدارة التكنولوجية " (حمدي، 2005 ، صفحة 15) ومن ثم فهو ضرورة حضارية و تنمية وثقافية و سياسية.

3. ضبط مفهوم الديمقراطية :

من بين أكثر مصطلحات الفكر السياسي شيوعاً وإستخداماً منذ العصر اليوناني و إلى غاية عصرنا هذا مصطلح الديمقراطية رغم ذلك هذا لايعني سهولة تعريفها بسبب التحولات التاريخية الكبرى التي تعددت معها التعريفات:

* لغة: مصطلح الديمقراطية مشتق من الكلمتين اليونانيتين *demas* وتعني الشعب و *kratos* وتعني السلطة ومن هاتين الكلمتين فإن الديمقراطية تعني سلطة الشعب أو حكم الشعب (بودين، دت، صفحة 210) وهو معنى لا يبتعد عن تعريف لالاند في موسوعته يعرفها في قاموسه الشهير "بأنها الدولة التي تعود فيها السيادة لأغلبية المواطنين فالديمقراطية هي ذلك النظام السياسي الذي يكون نابعا عن إرادة الشعب، ويصبح فيه هذا الأخير أي الشعب يحكم نفسه بنفسه (لالاند، 1996، صفحة 26) ومن ثم فهي تعني حالة سياسية تكون فيها السيادة للمواطنين أي أن الشعب سيد نفسه.

* **إصطلاحاً:** يعرف تشومسكي الديمقراطية بقوله " يشير مصطلح ديمقراطية إلى منظومة حكومية تسيطر فيها صفوة المجتمع المؤسسة من مجتمع الأعمال على الدولة بسبب سيطرتها على مجتمع القطاع الخاص، في حين يحمل سكان الدولة فيما يحدث صمت " ويضيف قائلاً " وبهذا الفهم تعد الديمقراطية كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية، منظومة تصنع فيها الصفوة القرارات التي يصادق عليها العامة، ومن ثم يعد إشتراك العامة في صياغة السياسة العامة تهديداً خطيراً" وهذا يعني أن الحكام والوزراء والنواب ما هم إلا لعبة يتم التحكم فيها من طرف أصحاب القرار الذين يمثلون الطبقة البرجوازية.

ثانياً: تشومسكي الفيلسوف الناقد:

يعد تشومسكي* أحد أعلام الفكر في الفترة المعاصرة وهو من الفلاسفة وعلماء النفس البارزين في ق20م وبداية ق21م، ابن أحد الباحثين اليهود، نشأ في بيئة محفزة فكرياً حيث أن والده كان عالماً في اللغة العبرية (روتاب، صفحة 92) ، ووالدته مدرسة ويسارية متشددة تعلقت بقضايا

السياسة والمجتمع تعرض وهو صغير للأفكار الصهيونية والإشتركية واليسارية التي ساهمت في تطوير ميوله السياسية الخاصة وهذا من خلال دعوته فيما بعد لقيام دولة اشتراكية بإسرائيل.

تأثر بالفلسفة العقلانية التي كانت سائدة في القرن 17 ولا سيما بالفيلسوف الفرنسي ديكارت ويتضح ذلك في المحاضرة الأولى التي ألقاها في جامعة كاليفورنيا التي تبين لنا محاولته لتقويم الإسهامات السابقة في دراسة علاقة العقل بطبيعة اللغة، لذلك نجد فلسفته التحليلية تتضح عبر تنقلاته التدريجية في عالم الفكر الغربي الحديث والمعاصر ولقد جاءت شهرته السياسية من خلال نقده اللاذع للسياسة الخارجية الأمريكية، وقد ساهمت مؤلفاته في شهرته، حيث أدان فيها الإستعمار الأمريكي، وقد لاحظ أن عملية الهيمنة الأمريكية لم تعد تتم من خلال القمع وإنما من خلال لإغواء (الخداع)، وهذا هو الدور الذي يمثله الإعلام الأمريكي من خلال إخفاء الحقائق.

ثالثا: أخلاقيات الإعلام في الممارسة الديمقراطية:

لقد أصبح الإعلام يلعب دورا مهما و خطيرا في الأزمات و الكوارث خصوصا ماتعلق منها في صناعة الديمقراطية هذا الأمر دفع تشومسكي لمحاولة الكشف عن الجانب المظلم والمغيب عن الإعلام الذي يعد وسيلة مهمة للسيطرة على العالم:

أولا - الإعلام الدعائي :

-[تعريفه : لا بد أن نحاول ضبط مفهوم محدد لمصطلح البرويغندا (الدعاية)

1.1/ اللغة "الدعوة إلى مذهب أو رأى بالكتابة أو بالخطابة و نحوهما ،أدعوك بدعاية الإسلام ،أو هي منهج أو طريقة لخلق إتجاه مشايخ أو معاد نحو سلعة أو فكرة أو مذهب بالكتابة أو الإعلان أو الخطابة أو نحوها دعاية إنتخابية16 وتعني الحث على إتباع الشيء

2.1 إصطلاحا:

أصبح إصطلاح الدعاية من المصطلحات المتداولة بين الناس في وقتنا الحاضر ومن ثم فالإعلام الدعائي فن لأنه يعتمد على المواهب الشخصية للقائم بالعملية الدعائية و الأجواء النفسية التي تحيط به و بالتالي فهو يعتمد على قدرة القائم بالعملية الدعائية على التلاعب بالعناصر النفسية للتأثير

على منطوق المستقبل و الضغط عليه معنويا و ما يمكن الإشارة له أن فن الدعاية لا يقتصر على مجال معين من الحياة و إنما يشمل كل نواحي الحياة المختلفة من سياسية إلى إقتصادية واجتماعية.

2 دور الإعلام في الممارسة الديمقراطية:

لا شك أن دور الإعلام أصبح أكثر من ضرورة في الممارسة الديمقراطية فالسلطة الرابعة تصنع الرؤساء كما تضع الأنظمة السياسية ،بل و تضع الوفاق على حد تعبير تشومسكي ومن هذا المنطلق يقابل فيلسوفنا بين تصورين للديمقراطية أحدهما نظرية كلاسيكية لا يتم تطبيقها نسبيا والآخر مفهوم نظري له تطبيقاته العملية المتجذرة في التاريخ و الأكثر شيوعا يقول تشومسكي " يدفعنا الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في شؤون السياسة المعاصرة إلى طرح تساؤلات (...) وعلى وجه الخصوص في أي صورة من الديمقراطية نريد لهذا المجتمع أن يكون ديمقراطيا " و يضيف قائلا " لنبدأ أولا بطرح تعريفين مختلفين للديمقراطية ،المفهوم الأول يعتبر أن المجتمع الديمقراطي هو الذي يمتلك فيه العامة، الجمهور ،الوسائل الأزمة للمشاركة في إدارة شؤونهم و أن تكون وسائل الإعلام منفتحة وحررة " و يشير بأن هذا الصنف الأول لا يختلف عن التعريف اللغوي للديمقراطية ،أما الصنف الثاني " فهو أن يمنع العامة من إدارة شؤونهم و كذا من إدارة وسائل الإعلام التي يجب أن تظل تحت السيطرة المتشددة " هذا التصور منا في الديمقراطية ،لكنه موجود من الناحية التاريخية كالثورة الإنجليزية في القرن 17 م وهي أقدم ثورة ديمقراطية.

و يعرض لنا تشومسكي أول عملية دعائية حكومية " البروباغندا" في العصر الحديث و التي تعمل في الوقت نفسه كوجه ديمقراطي ،حيث تم تأسيس الإعلام كأداة فاعلة في توجيه العامة و التلاعب بهم ،و دورها المهم في إعادة عجن و صياغة الآراء حسبما تقتضيه الحاجة " سأوضح كيف تطورت فكرة الديمقراطية و كيف نقدم مشكلة وسائل الإعلام و التضليل المعلوماتي ضمن هذا السياق ؟ لنبدأ أولا بالإشارة الى أول عملية دعائية حكومية في العصر الحديث حيث كانت أثناء إدارة الرئيس الأمريكي (وودور ويلسون) الذي أنتخب رئيسا ل و.م.أ عام 1916م" حيث أنشأ لجنة كريل للدعاية و تم تحويل المواطنين من السلم الى مواطنين متعاطشين و يعود تشومسكي إلى

واحدة من أشهر النظريات التي أسسها لييمان* ، وهو عميد الصحفيين الأمريكيين وواحد من أهم محلي السياسة الخارجية و منطري البرالية ،وهي نظرية "الثورة في فن الديمقراطية " هدفها الحصول على موافقة الشعب في أشياء لم يكن راغب فيها و هذا بفضل الدعاية "(.....) و ذكر بأن ما أسماه بالثورة في فن الديمقراطية تمكن تطويعه لخدمة ما وصفه بتصنيع الإجماع ،بمعنى جعل الرأي العام يوافق على أمور لا يرغبها بالأساس عن طريق إستخدام وسائل دعائية " و يضيف " و كانت هذه الفكرة كفيلة تماما بخداع الرأي العام و يمكن فهمها فقط بواسطة طبقة متخصصة من الرجال المسؤولين الذين يتمتعون بدرجة الذكاء " هذه النظرية تؤكد أن نخبة صغيرة من مجتمع المفكرين الذي أشار إليه ديوي هي وحدها تستطيع فهم المصالح العامة و أن هذه الأمور من شأنها أن تضلل الرأي العام " ووجهة النظر تلك ليست بجديدة فهي تعود لمئات السنين ،وهي كذلك وجهة نظر لينينية بحثت و في حقيقة الأمر مطابقة لمبدأ لينين القائل بأن طلائع المفكرين الثوريين لابد و أن تستولي على السلطة عن طريق توظيف ثورات شعبية كإحدى الوسائل التي من شأنها أن تدفع بهم إلى سدة الحكم " ومن ثم وضع الجماهير الغبية نحو مستقبل عاجزين عن فهمه وتصوره وهكذا فإن الدور الدعائي لوسائل الإعلام أصبح يقوم على تهميش و إقصاء الأصوات والأفكار و الآراء المعارضة ومنعها من الوصول إلى الجماهير وحبج الكثير من الحقائق، بحيث لا يكون للفرد سوى تقبل وجهة نظر الحكومة الأمريكية كما كان له دور كبير في الصراعات الدولية.

3. الإعلام الدعائي كوسيلة سيطرة خارجية:

إن اعتماد الدعاية الإعلامية على تلفيق الأحداث و الإغواء النفسي ، و إبتعادها عن الموضوعية و المهنية ومجافاتها للواقع و ما خلفته من وجع إجتماعي مزمن ونجاحها في تشتيت ذهنية الأفراد وتحويلهم عن إتجاهاتهم و قيمهم وسلوكياتهم، ونجاحها في خرق وعيهم بثقافة تتدفق عدوانية غريزية تجاه الآخر بإستمرار، جعلت نعوم تشومسكي يتحدث عن الآليات التي يستخدمها الإعلام الأمريكي للسيطرة على العالم :

1.3 ابتكار المشكلة:

حيث أن وسائل الإعلام تقوم بخلق أعداء وهميين للولايات المتحدة الأمريكية ، و الغاية خلق بيئة فكرية مضطربة لدى عينة من الأفراد و الجماهير للتحضير و تهيئة الأرض الضرورية لتقبل النماذج و السلوكيات المصممة مسبقاً مما ساعد و .م.أ على خلق صورة مرغوب فيها لدى الرأي العالمي و تركز هذه الصورة في إنسانية و حضارة الإنسان الغربي مقابل همجية إنسان العالم الثالث و لنا في الخطابات الأمريكية تجاه دول مثل : العراق و ليبيا و السودان و فلسطين و أفغانستان مثالا على ذلك و هذا ما يوضحه استخدام المصطلحات الإزدرائية التي تصور الدين الاسلامي كحركة متعصبة و غير متسامحة و عنيفة وإرهابية.

و لغرض حشد التأييد العالمي لحروبها تم إضفاء الرموز الدينية المسيحية لبناء و تشكيل التصور في أذهان الغرب بأن الحرب و بأنها حربهم و أنها تقود الحرب نيابة عنهم تحت إسم المسيحية و هي شعارات تستنز المشاعر الدينية للشعوب الغربية

2.3 تشويه صورة العدو :

عملت و .م.أ على إستنزاز الذاكرة الجمعية للشعب الأمريكي و شعوب أوروبا عن طريق استخدام المصطلحات المركبة و المزدوجة كمصطلح محور الشر ، فدور كلمة محور تذكر بدور المحور ومآسي الحرب العالمية الثانية، وكلمة شر تتضمن كل ما هو سيء وخبث ، و التي وصفت بها دول إسلامية كإيران و العراق و من ثم أضيفت لها سوريا و بذلك فتشويه صورة العدو غالبا ما يعتمد على اللغة ذلك أن الخطاب السياسي الأمريكي ما هو إلا تضليلي دعائي يستخدم بغية تحريض أفراد المجتمع لخلق حالة من عدم التوازن يقول تشومسكي "في الواقع فإن الناس قد إنتقدوا جورج بوش لكونه غير قادر على توضيح ما الذي يحررنا الآن ، و هذا أمر غير عادل بالمرّة ، فقبل منتصف الثمانينات كان بالإمكان أن تستخدم أسطوانة الروس قادمون و تلومهم على أي شيء بدون أي مجهود و أنت نائم ولكنه خسر تلك ، و كان حتما عليه أن يأتي بأخرى جديدة فأصبح الإرهاب العالمي و تهريب المخدرات و المجانين العرب و صدام حسين أو هتلر الجديد الذي سيعزو العالم" و إذا رجعنا للتاريخ فإن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لتوسيع النفوذ الأمريكي في العالم.

إن إطلاق التسميات التي تسيء إلى الإسلام و الشعوب الإسلامية يعمل على تحقيق مصالح الولايات المتحدة الأمريكية و الغرب لتثويته صورة الآخر الذي يحمل القيم و المثل الأخلاقية والأنسانية التي يحاول أصحاب المصالح في الأنظمة الغربية و النظام الأمريكي القضاء عليها لجلب المزيد من الأرباح و لتبرير مساعيهم في الإستيلاء و السيطرة على دول منابع النفط التي تخضع لنفوذ دول إسلامية. و تشارك العديد من وكالات الأنباء العالمية في تمرير و إنتاج الخطاب الأمريكي والتي تمثل تحيزا واضحا لصالح الغرب و يصب في تحقيق الأهداف السياسية لحكوماتها يقول تشومسكي " إن صدام حسين هو وحش على وشك أن يغزو العالم ، كما شائع بشكل كبير في و.م.أ فقد تم تلقين الناس مرة بعد أخرى أنه سيأخذ كل شئى وإن علينا أن نوقفه ، و لكن كيف أصبحت بمثل هذه القوة ؟... " و من هنا نجد أن و.م.أ ركزت على شخصية الصراع.

3.3 تزييف التاريخ و تبرير الحرب:

في هذه المرحلة تعمل وسائل الدعاية على التأكيد بأن الحرب مشروعة و عادلة و هي الوسيلة التي بفضلها تم حل النزاع الذي فشلت فيه كل المساعي الدبلوماسية و السياسية الدولية ، ما حتم اللجوء الى الحل العسكري ، سواء في حرب الخليج أو حرب أفغانستان أو التدخل على العراق يقول تشومسكي " و من الضروري كذلك أن يتم تزييف التاريخ و هي وسيلة أخرى للتغلب على المصالح المرضية ليبدو الأمر و كأننا حين نهاجم و ندمر الآخرين فنحن نعمل ذلك للحماية و الدفاع عن أنفسنا ضد المعتدين و الوحوش و قد كان هناك مجهود هائل منذ حرب فيتنام لإعادة بناء تاريخ الحرب " . و قد صور المستشرقون أوروبا بإعتبارها منطقة الثقافة المهيمنة أو الأعلى أو الثقافة المتفوقة وهذا كله يهدف إلى تبرير شن الحرب ضد العدو و إقناع الشعوب بعدالة الحرب ومشروعيتها بحيث تتقبل الشعوب الغربية أية مذابح أو فضائح ترتكبها القوات الأمريكية ضد الشعوب الأخرى.

إنطلاقا من هذا يمكن القول أن " الإعلام ووسائله من حيث التأسيس غير مؤخلق و ذلك راجع لتدخل معطيات أخرى في الفعل السياسي فالهيمنة والقوة للحفاظ على السلطة ودوامها بالإضافة إلى حماية المصالح الإقتصادية النيوليبرالية بصفتها الدعامة التي تقوم عليها السلطة والانتهاه بالغاية

الايديولوجية المنبثقة عن العقيدة الامريكية" ويرى معظم المواطنين الأمريكيين أن الجمهور ليس له تأثير كبير على قرارات الحكومة، وقلائل وبذلك يظهر لنا أن السياسة الأمريكية لا تركز كثيرا على الديمقراطية أو الحرية بل إن هدفها الوحيد هو السيطرة والهيمنة على منابع الغاز و النفط. تحولت واشنطن من أبرز الدول التي تتادي بالديمقراطية إلى الدول الداعمة للتخريب تحت غطاء دعم الديمقراطية.

ثانيا :نحو إتيقا للممارسة الإعلامية في العملية الديمقراطية:

على الرغم من أن الإنتكاسات التي أصابت الممارسة الإعلامية في العملية الديمقراطية والإختلاف البين والتراجع في نوعية الديمقراطية التي تتمتع بها حكومات كثيرة ،لاتزال الديمقراطية تحظى ببريق يحمل الناس على المخاطرة بأمنهم وحياتهم من أجل المطالبة بتحقيقتها.

-و لقد تكررت في الأعوام الماضية مشاهد جموع الناس تحتشد في ساحات عواصم عدة دول من أجل إسقاط أنظمة دكتاتورية ، وعلى الرغم من الصعوبات و ممارسات البطش التي تبديها الحكومات المستهدفة في مواجهة المطالبين بالديمقراطية فإن هذه المطالب لم تتراجع (العامري، 2016، صفحة 5) وبذلك حطمت مقولة أن الديمقراطية سوف تزدهر بسرعة وعفوية مرة واحدة متى زرعت بذورها فربما تكون الديمقراطية طموحا عالميا لكن في جوهرها ممارسة ثقافية بحاجة للتجديد من جيل إلى آخر.

إن الأسئلة التي يثيرها العمل الإعلامي لا يزال كثير منها عصياً على المعالجة الأخلاقية، وقد تختلف فيه الآراء كذلك، فضلاً عن أن بعض المبادئ التي عادة تُدرج ضمن "أخلاقيات الإعلام" هي محل نقاش؛ كمفاهيم الحياد والموضوعية، والاستقلالية، والتوازن، والمصلحة العامة خصوصاً ما يتعلق بالجانب السياسي الديمقراطي.

ثمة جوانب من الإعلام خاضعة للتقويم الأخلاقي بلا شك، وتندرج عادة ضمن ما تسمى "أخلاقيات الإعلام" وهو أحد فروع الأخلاقيات التطبيقية (التي تشمل مجالات عدة كالبيولوجيا والمهن والبيئة). وهنا يتم وضع مبادئ ومعايير أخلاقية لضبط عمل وأداء أصحاب هذه المهن، وتحديد ما

هو صالح وغير صالح، أو لتحديد ما هو صح أو خطأ في حالات محددة؛ كعرض صور ضحايا عمل إرهابي مفبرك بهدف تغيير المسار الديمقراطي مثلاً أو نشر معلومات حول الأفراد بما قد يؤدي إلى انتهاك مبدأ الخصوصية

وتعود فكرة وضع أخلاقيات للعمل الصحفي إلى سنة 1926 حين قامت الجمعية الأمريكية لمحري الصحف بوضع ميثاق أخلاقي، ثم درجت المؤسسات الإعلامية الكبرى على وضع موثائق خاصة بها؛ فوضع الاتحاد الدولي للصحفيين ميثاقه سنة 1954 (تم تعديله لاحقاً من قبل المؤتمر العالمي سنة 1986)، وفي سنة 1973 قامت مؤسسة سيجما ديلتا كاي (Sigma Delta Chi) بكتابة الميثاق الخاص بها (ثم قامت بتعديله عبر مراحل متعاقبة أعوام 1984 و 1987 و 1996)، وسنة 1994 اعتمدت إدارة محري أسوشيتد برس ميثاقها المنقح، واعتمدت جمعية الصحفيين المحترفين ميثاقاً تبناه آلاف من الكتاب ومحري الأخبار وتدور مجمل تلك الأخلاقيات حول مبادئ عامة هي: البحث عن الحقيقة، تُوخي الدقة، تخفيف الأضرار، العمل باستقلالية، التحلي بالمسؤولية، النزاهة والحياد في العملية السياسية ويندرج تحت هذه المبادئ الكبرى جملة من الأخلاقيات التي تسعى إلى ضبط المهنة ووضع معايير تنظم عمل الصحفيين والإعلاميين.

يؤكد جون ديوي أن ظهور وسائل الإعلام الجماهيرية يحمل إمكانية تحسين الظروف الديمقراطية و عملياتها، إذا وضعت تلك الغايات في الاعتبار عند تصميم وسائل الإعلام (صالح، 2004، صفحة 88)، ومن ثم فهي مسؤولة مسؤولية مباشرة في مختلف المجتمعات سواء المتقدم منها و النامي عن الإسهام في حركة تطور المجتمع الديمقراطي و الإلتزام بغاياته وطموحاته .

في حقيقة الأمر أن تطبيق الديمقراطية في دول العالم و خاصة الثالث تواجهها العديد من المعوقات و الصعوبات ومن ثم لايمكن رد فساد الديمقراطية للإعلام و إتهامه أنه موجه لا يؤدي وظيفته ويمكن حصرها في :

--1 صعوبات اقتصادية: فمن غير الممكن أن تطبق الديمقراطية بكافة مبادئها على البلدان ذات الإقتصاد الضعيف، حيث أن هذه الشعوب تتميز بعدم إكترائها بمجريات الأمور السياسية من خلال مقاطعة الانتخابات.

- 2- صعوبات إجتماعية: وجود عادات إجتماعية لعدم أخذها بأراء النساء في أمور السياسة و الحكم حيث تعد النساء مواطنات من الدرجة الثانية.
- 3- صعوبات ثقافية: فالقدرة الثقافية للأفراد على التكيف مع الأجواء الديمقراطية هي الفيصل في نجاحها أو إخفاقها، و الطريق الأمثل للقضاء على هذه الصعوبات هو توجيه الشعوب نحو الثقافة الإنتخابية و السياسية.
- 4 - صعوبات سياسية: هي أزمة عدم الثقة بين مكونات البلد السياسة ، و ذلك عائد بطبيعة الحال إلى ظروف نشأة هذه الأحزاب.
- هذه الصعوبات خاضعة للنسبية فالصعوبات في بلد أوروبي ليست هي نفسها في بلدان الشرق أوسطية و هي أيضا ليست ذات الصعوبات في البلدان الإفريقية أو الأمريكية الجنوبية.

خاتمة:

مما سبق نستنتج أن تشومسكي لم يقدم في حواراته النمطية عن أمريكا باعتبارها بلد الحرية والديمقراطية و إنما كشف الوجه الحقيقي لعجلة السياسة الأمريكية التي قال انها تدهس من يقبضها هذا ما يعتبره تهديدا واضحا لمستقبل الديمقراطية نظرا لأن من يحكم البلد الأكثر قوة في العالم مجموعة من الاثرياء أو بمعنى اكثر دقة كما صححه تشومسكي لاحقا مجموعة من اللصوص الذين لا يهتمون سوى بمصالحهم الشخصية فقط.

لقد قدم لنا دراسة تحليلية نقدية لوسائل الاعلام ، إذ بين لنا أن الدعاية أو البروبغندا هي من تتحكم في زمام الأمور العامة و إدارة الرأي العام ، رغم أن أمريكا تبدو في ظاهرها تلك الدولة الراحية للديمقراطية و حقوق الإنسان عبر العالم إلا أن حقيقتها بعيدة كل البعد عن هذه الصورة المزيفة التي تسوقها إعتمادا على قوة إعلامية هائلة متحكمة في العقول و موجهة للجمهور و بين لنا حجم النفاق الذي يقف وراء إمبراطورية الإعلام العالمي و تحديدا الأمريكي القادر على تغيير أنظمة وإبادة شعوب و إشعال حروب طاحنة عن طريق الترويج للأخبار الكاذبة و نشر دعايات لا أساس لها من الصحة ، هذا الخطر يستلزم بالضرورة التحرك عاجلا لوقفه و تقديم كل التضحيات في سبيل

ذلك هنا تتبلور فكرة السيطرة على الشعوب التي نعنها تشومسكي في كتابه بقيادة القطيع الضال المنساق وراء إملاءات السلطة الحاكمة، ليتحول مع الوقت الى كراكيز ساكنة تكفي بالمشاهدة للعملية الديمقراطية فقط لكنها لا تشارك فيها .

إن المفهوم الصحيح للإعلام هو تزويد الناس بالأخبار السليمة و المعلومات الدقيقة و الحقائق المطلقة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير و ميولهم ،و من ثم فدوره في العملية الديمقراطية يتمثل في الإقناع و التتوير أي تتوير الرأي العام و نشر الأخبار الصادقة و القادرة على رفع مستوى و عقول الأفراد رفعا يحقق لهم نضجا سياسيا في العملية الديمقراطية ،ولكن إقرار تلك المبادئ لا يعني أن تتحول الممارسة الإعلامية إلى ممارسة أخلاقية؛ لأن ثمة إشكالات عدة تثار هنا، نذكر منها: السيطرة على الإعلام من طرف رؤوس الأموال و رغم ذلك يؤكد بيكر على نحو مقنع بأننا نخطئ كثيرا عندما نحاول أن نفهم وسائل الإعلام بأكملها في سياق الأسواق أي أسواق الأفكار ،وبدلا من ذلك يشير إلى أنه عندما تأمل تأثير ملكية و وسائل الإعلام ندرك أننا بحاجة للإعتراف بضرورة تنوع السيطرة على وسائل الإعلام لأنها تزيد من العمليات الديمقراطية.

يؤكد ليفيناس على أن المسؤولية الإتيقية تتطلب الإتصال بين الناس بشكل مباشر ذلك أن من طبيعة الذات الإنسانية هو محاولة التقليل من معاناة الآخر القريب من خلال تجسيد مبدأ العدالة هذا ما يؤكد في كتابه الكلي واللانهايي يصرح "إستمعت كلمة عدالة للإشارة إلى العلاقة بين شخصين... ذلك أن العدالة هي الطريقة التي أجيب بها الوجه بأنني لست وحيدا في العالم مع الآخر ."

رغم كل الآلام و الخسائر التي تسبب فيها فيروس كوفيد 19 إلا أن الفيروس التاجي حسب تشومسكي حمل معه أشياء إيجابية هي إشارات تحذيرية لنا من الخطر الداهم الذي يلوح في المستقبل القريب ليحثنا على التحرك والإستعداد خاصة على مستوى الديمقراطية التي أصبحت اليوم في خطر بسبب حالة الاستثناء التي قد تتواصل بسبب السياسة النيوليبرالية.

* و عليه فأى عالم نريد أن نعيش فيه حسب طرح تشومسكي ؟ هنا يضعنا أمام خيارات عديدة تتراوح بين تركيب إستبدادي للغاية في العالم تتحول فيه الدول إلى أكثر وحشية أو خيار الراديكالية و إعادة إعمار المجتمع أو خيارات أخرى بالعودة الى المصطلحات الإنسانية المعنية بالإحتياجات البشرية ، و عليه فنحن اليوم أمام لحظة تاريخية حاسمة للإنسان لأن الفيروس علامة تحذير للبشرية ذلك عليها أن تبحث في الجذور التي تؤدي إلى الأزمات، لا لكيفية السيطرة على العالم من خلال ما عرف بالديمقراطية .

المصادر والمراجع:

1. ابن منظور. (دت). لسان العرب (المجلد مجلد 12). بيروت: دار الصياد.
2. الجابري م. ع . ، . (2012)مسألة الهوية و الإسلام و الغرب . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
3. أندري لالاند. (1996). موسوعة لالاند الفلسفية. (ت، خليل أحمد خليل، المترجمون) لبنان: منشورات عويدات.
4. حاج هني مجّد، جميلة روتاب. (بلا تاريخ). المنطلقات العلمية والفلسفية للنحو التوليدي، قراءة وصفية فكر تشومسكي. مجلة التواصلية، ص92.
5. رزونتال بودين. (دت). الموسوعة الفلسفية. (ت سمير كرم، المترجمون) لبنان: دار الطليعة.
6. رضوان مفلح العلي، مصطفى يوسف، نيرمين خلدون. (2016). مدخل إلى وسائل الإعلام الإلكتروني و الفضائي . الأردن : دار حامد للنشر والتوزيع .
7. شعبان حمدي. (2005). الإعلام الأمني و إدارة الأزمات و الكوارث . مصر : الشركة العربية المتحدة للتسويق .
8. عبد العزيز العيادي. (2004). إتيقا الموت و السعادة . ونس : دار صامد للنشر و التوزيع .
9. عصام فاهم العامري. (2016). المأزق العلمي للديمقراطية، قطر، بلوغ نقطة التحول. قطر: المركز العربي للأبحاث و الدراسات .
10. عطالله الرحيم، مجّد نور صالح. (2004). الإعلام و النظريات الإجتماعية. عمان: دار الحامد للنشر و التوزيع.
11. يورغن هابرماس. (2010). إتيقا المناقشة و مسألة الحقيقة . (ت. عمر مهيل، المترجمون) الجزائر : منشورات الإختلاف .